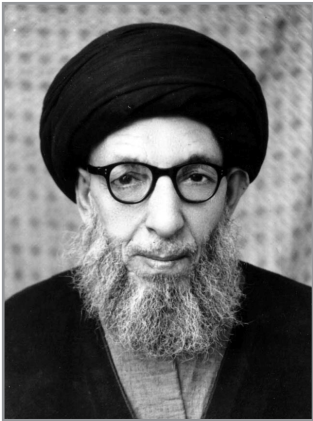


## علماء وأعلام

### آية الله العظمى

#### السيد محسن الحكيم ﷺ



#### ولادته:

ولد السيد محسن الحكيم في عام ١٣٠٦ هـ سنة ١٩٠٥م، بمدينة النجف الاشرف في عائلة متدينة معروفة بالعلم والصلاح والتقوى، كان جده السيد مهدي الحكيم من مدرسي علم الاخلاق المعروفين في زمانه.

#### اساتذته:

درس ﷻ السطوح العالية عند اساتذة عصره، ولما بلغ عمره عشرين سنة؛ تتلمذ على يد الايات العظام التالية اسماؤهم: محمد كاظم اليزدي، محمد كاظم الخراساني، ضياء الدين العراقي، ابو تراب الخونساري، شريعت اصفهاني، الميرزا النائيني، محمد سعيد الحبوبى، علي باقر الجواهري قدس الله اسرارهم.

#### من تلامذته:

الشهيد اسد الله المدني، الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الشيخ وحيد الخراساني، الشيخ احمد فياض السدهي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وغيرهم.

#### دوره في حوزة النجف الاشرف:

بعد وفاة المرجع السيد البروجردي ﷻ، اصبح السيد محسن الحكيم ﷻ مرجعا عاما للشريعة، فاخذ بوضع نظام اداري للحوزة، وشرع ببناء المدارس وارسال المبلغين الى نقاط العراق المختلفة. وبهذا العمل ازداد عدد الطلاب في جميع الحوزات بشكل منقطع النظير.

ولغرض اغناء المواد الدراسية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، قام السيد بادخال دروس جديدة مثل: التفسير والاقتصاد والفلسفة والعقائد، لغرض توسيع آفاق الطلاب بالعلوم المختلفة، حتى يكونوا على اهبة الاستعداد للوقوف امام التيارات الفكرية والافكار الالحادية القادمة من الخارج .

#### مؤلفاته:

مستمسك العروة الوثقى، نهج الفقهاء، حقائق الاصول، منهاج الصالحين، منهاج الناسكين، شرح التبصرة، دليل الناسك، تعليقة على العروة الوثقى، تحرير المنهاج وغيره.

#### وفاته:

انتقل السيد محسن الحكيم ﷻ إلى رحمة الله بعد عمر طويل، قضاه بالجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة الاسلام بشكل عام والمذهب الشيعي بشكل خاص، وذلك ٢٧ / ربيع الاول / ١٣٩٠ هـ ، واستغرق تشييعه من بغداد الى النجف الاشرف مدة يومين بموكب مهيب، حضره مئات الالاف من المؤمنين، حتى كاد ان يتحول ذلك التشييع الى انتفاضة صارخة ضد النظام البعثي في العراق، وتم دفنه في مقبرة خاصة الى جوار مكتبته في مدينة النجف الاشرف.

## مقالة

# الطباطبائي

# و موقفه من منهج التفسير بالرأي

#### ⚠️ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

#### ■ تمهيد

يعتبركتاب الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي واحداً من أشهر وأهمّ كتب التفسير في واقعنا المعاصر، ونظراً لشهرته اخترنا هذا التفسير ليكون نموذجاًلبحثنا.

#### ■ حول تفسير الميزان

من تأليف العلامة الحكيم السيّدمحمّدحسين الطباطبائي المولود بتبريز سنة (١٣٢١هـ). والمتوفّى بقم المقدّسة سنة (١٤٠٢هـ).

وهو تفسير جامع حافل بمباحث نظريّة تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع فيه المؤلّف إلى جانب الأنماط التفسيريّة السائدة، أموراً ممّا أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، وما يضلّون به من تشويه للمفاهيم الإسلاميّة، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم.

#### ■ مزايا تفسير الميزان

١.جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي، فقد فُسر القرآن آية فآية وسورة فسورة، لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع بعض، ليبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما مرّ بآية ذات هدف موضوعي، وكانت لها نظائر منبئة في سائر القرآن.
٢.عنايته التامّة بجانب الوحدة الموضوعيّة السائدة في القرآن، كل سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكل بنيان السورة بالذات، فلا تتمّ السورة إلّا عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، ولذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها.
٣.الاستعانة بمنهج “فقد حقق القرآن هذا الأمر وأوجده بعيان؛ إذ نراه يعتمد في “تفسيره” على القرآن ذاته، فيرى أنّ غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان تبياناً لكل شيء فيا ترى كيف يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟!

يقول العلامة الطباطبائي: “الطريقة المرضيّة في التفسير هي أن تفسّر القرآن بالقرآن، ونشخص المصاديق ونعرّفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. وحاشا القرآن أن يكون تبياناً

ثمّ بعد أن استعرض النصوص الدالة على النهي عن تفسير القرآن بالرأي قال: “قوله: ﴿:من فسر القرآن برأيه...﴾، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله برأيه مع الإضافة إلى الضمير، علّم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتّى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار على ما ورد من الروايات في تفسير

لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه” ويمكن القول بحق إنّ “الميزان في تفسير القرآن” هو من التفاسير الجامعة لكلّ مناهج وألوان التفسير حيث تجد أنّ السيّد الطباطبائي جمع إلى جانب منهج تفسير القرآن بالقرآن منهج التفسير الروائي والفلسفي والتاريخي والاجتماعي...

#### ■ بيان الطباطبائي لمنهج التفسير بالرأي

ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي، وسنعرض لرأي العلامة الطباطبائي وموقفه من هذا المنهج.

اعتبر السيّد الطباطبائي أنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوها متعدّدة، أهمّها:

–تفسيرالمتشابه الّذي لا يعلمه إلّا الله.
–التفسيرالمقرّر للمذهب الفاسدبأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان ضعيفاً. وهذا يحصل فيما لو كان للمفسّر ميل إلى نزعة أو مذهب فيتأوّل القرآن على رأيه ويصرفه عن المراد، فيجزّ شهادة القرآن لتقرير رأيه.

– التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.
–التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة، وما لا بدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول.

– القول بالقرآن بما يعلم أن الحق غيره.

– القول في القرآن بغير علم وثبّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا. ثمّ علق عليها بقوله: “وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وكيف كان فهي وجوه خالية عن الدليل، على أنّ بعضها ظاهر البطلان.”

#### ■ معنى “الرأي” عند الطباطبائي

ثمّ بعد أن استعرض النصوص الدالة على النهي عن تفسير

القرآن بالرأي قال: “قوله: ﴿:من فسر القرآن برأيه...﴾، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله برأيه مع الإضافة إلى الضمير، علّم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتّى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار على ما ورد من الروايات في تفسير

الآيات عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على ما يراه أهل الحديث. بل الإضافة في قوله: “برأيه” تفيدمعنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس الروائي والفلسفي والتاريخي قطعة من الكلام من أي متكلم إذا ورد علينا لم نلث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي ونحكم بذلك: إنّه أراد كذا، كما نجري عليه في الأقايرير والشهادات وغيرها، كلّ ذلك لكون ببياننا مبنياً على ما نعلمه من اللغة ونعنده من مصاديق الكلمات حقيقة ومجازاً.

والبيان القرآني غير جار هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضه ببعض في عين أنّه مفسّول، ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض كما قاله الإمام عليّ عليه السلام ، فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في اكتشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبّر فيها كما يظهر من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

#### ■ التفسير المنهجي عنه

فالتفسير بالرأي المنهجيّ عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف وبعبارة أخرى إنّما نهى ﷺ عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره وإن كان هذا النحو من التفهّم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قولهﷺ في الرواية الأخرى: “من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ”، فإنّ الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة ليس إلّا لكون الخطأ في الطريق، وكذا قوله عليه السلام: “إن أصاب لم يؤجر”.

وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية، فإنّما هو كلام عربيّ روعي فيه جميع ما يراعى في كلام عربيّ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وإنّما الاختلاف في جهة المراد والمصداق الّذي ينطبق عليه



تفسير بما نراه من غير علم. وإن رقت أذهاننا عن ذلك قليلاً، وأدعنا بأنّه تعالى لا يخزن المال وخاصّة إذا سمعناه تعالى يقول في ذيل الآية: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. أيضاً: ﴿وَمَا أَزِلْ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رُزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. حكمنا بأنّ المراد بالشئء الرزق من الخبز والماء، وأنّ المراد بنزوله نزول المطر لأنّ لا نشعر بشيء ينزل من السماء غير المطر، فأختران كلّ شيء عند الله ثمّ نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائيّة.

وهذا أيضاً تفسير بما نراه من عدم العلم دون العلم بالمعدم. وإنّ تعالينا عن هذا المستوى أيضاً واجتنبنا ما فيه من القول في القرآن بغير علم وأبقينا الكلام على إطلاقه التامّ، وحكمنا أنّ قوله: ﴿وإنّ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾. يبيّن أمر الخلقه، غير أنّا لمّا كنّا لا نشك في أنّ ما وجدنا من الأشياء المتجدّدة بالخلقة كالإنسان والحيوان والنبات وغيرها لا تنزل من السماء، وإنّما تحدث حدوثاً في الأرض، حكمنا بأنّ قوله: ﴿وإنّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾. كناية عن مطاوعة الأشياء في وجوها لإرادة الله تعالى، وإنّ الإرادة بمنزلة مخزن يختزن فيه جميع الأشياء المخلوقة، وإنّما يخرج منه وينزل من عنده تعالى ما يتعلّق به مشيئته تعالى. وهذا أيضاً كما ترى تفسير لآية بما نراه من غير علم؛ إذ لا مستند

لنا فيه سوى أنّا نجد الأشياء غير نازلة من عند الله بالمعنى الّذي نهده من النزول ولا علم لنا بغيره. وإذا تأملت ما وصفه الله تعالى في كتابه من أسماء ذاته وصفاته وأفعاله وملأكته وكتبه ورسله والقيامة وما يتعلّق بها وحكم أحكامه وملأكانها، وتأمّلت ما نرومه في تفسيرها من إعمال القرائن العقلية، وجدت أنّ ذلك كلّ

من قبيل التفسير بالرأي من غير علم وتحريف لكلمه عن مواضعه.

من هنا يظهر أنّ التفسير بالرأي كما بيّناه لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير النبويّ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. ومن هنا يظهر أيضاً أنّ ذلك يؤدّي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنيّة من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدّي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها. ويلزمها تأويل بعض القرآن أو أكثر آياتها بصرفها عن ظاهرها، كما يتأوّل المجتزأة آيات الاختيار، والمفوّضة آيات القدر، وغالب المذهب في الإسلام لا يخلو عن التأوّل في الآيات القرآنيّة وهي الآيات التي لا يوافق ظاهرها مذهبهم، فيتشبّهون في ذلك بذيل التأويل استناداً إلى القرينة العقلية وهو قولهم خلاف الظاهر الفلاني قد ثبتت هذه عند العقل فيجب صرف الكلام عنه.

#### ■ الخلاصة

–يعتبر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من التفاسير المهمة لكونه يعتمد المنهج الجامع.

–يعتبر السيّد الطباطبائي بأنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة، أهمّها ما يلي:

تفسير المتشابه الّذي لا يعلمه إلّا الله،التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً،التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل،التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة، وما لا بدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول،القول بالقرآن بما يعلم أنّ الحقّ غيره،القول في القرآن بغير علم وتثبّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا.

– عند العلامة ليس المراد بالتفسير بالرأي النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن بل بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلّام الناس، فالتفسير بالرأي لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير النبويّ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. ومن هنا يظهر أيضاً أنّ ذلك يؤدّي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنيّة من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدّي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة فـتـي غير موضعها. ويلزمها تأويل بعض القرآن أو أكثر آياتها بصرفها عن ظاهرها.

**المصدر: دراسات في مناهج التفسير، سلسلة المعارف الإسلامية، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية**



وهنا تتجلى صورة عميقة للنجاح، إذ لا يعتمد فقط على الجهد، بل على تسليم القلب لله والثقة الكاملة به. ثم إنّ النجاح الحقيقي في القرآن ليس مؤقتاً، بل ممتد إلى الآخرة، فالله يقول: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً﴾. (النحل: ٩٧)، فالحياة الطيبة

إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ يَظَلِّمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾. (الأنفال: ٧٠)، فالنية الصالحة تسبق الفعل في صناعة النجاح. و(التوكل) أيضاً من مفاتيح التوفيق في القرآن، إذ يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. (الطلاق: ٣)، أي: كافيه وناصره ومنجّحه،

نور، ومن أوتي النور فقد وُفّق، ومن زاد إيمانه زاد توفيقه، وهذه قاعدة قرآنية في فهم معنى النجاح الحقيقي. كما أنّ التوفيق في القرآن لا ينفصل عن (الإخلاص)، فحين يعمل الإنسان شيئاً طلباً لرضا الله، يُفتح له باب التيسير، ويبارك له في عمله،

ثمرة التوفيق الرباني، وهي ليست محصورة في المال أو المنصب، بل في السكينة والرضا والبركة، وهي معايير لا يدركها إلّا من أنار الله تعالى قلبه بنور القرآن.

ولذلك فإنّ التوفيق والنجاح في نظر القرآن نتيجة طبيعية للسير في طريق الله سبحانه واتباع هداه، والتسلح بالتقوى، والإخلاص، والتوكل، والعمل الصالح، فمن أراد النجاح القرآني، فليبدأ من قلبه، ويتّجه إلى ربه.

**المصدر: مركز الكفيل الأسري**